الفصل السادس

خلاصة القول الصريح بعد الجولان الطويل الفسيح
أن أصل قبائل يوربا من العرب البائدة والعرب العاربة

إذا كانت العلوم منحًا إلهية ومواهب
اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر
الله لبعض المتأخرين ما عسر على
كثير من المتقدمين.

نقله أحمد زروق في القواعد
عن ابن مالك.

لقد تردد المؤرخون لهذه البلاد في إثبات أصل يوربا من العرب أو في نفيه خطأ أو تعمداً ومنهم صمويل جونسن وأساتذته وتلاميذهم في تاريخ يوربا، ومنهم شيخي وأستاذي آدم نماجي الكنوي في كتابه (الاكتشاف المفيد) ولكنه قرر أنهم من يعرب بن قحطان، ومع ذلك بقى في تردد كغيره وهم معذورون لأنهم إما أحد الاثنين فهو من يفهم اليوربا ولا يفهم العربية أو من يفهم العربية ولا يفهم اليوربا تمام الفهم.

لذلك تعين الأمر على من يفهم اليوربا تمام الفهم ويفهم العربية إلى أقصى حد.

فبما أني من أبناء يوربا ولا يستهان بمعرفتي للعربية تكلفت البحث واستوفيت له الأدلة التي تؤيد الرأي وتثبت ما نفوه وما ترددوا فيه.

فليس يضرني من يخالفني متعمداً من أبناء يوربا وغيرهم من الحاسدين أو الحاقدين يقول شاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ولا يضر من يخالفني وهو جاهل لا يفهم ما أقول وفي مثله يقول شاعر:

وإن عناء أن تفهم جاهلاً ويحسب جهلاً أنه منك أفهم

وليس من الضروري أن يتفق العلماء على رأي في تاريخ غير سماوى، وإنما يستند المؤرخون إلى أرجح الأقوال ثم يقولون للمخالف:

تقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند

ولنا في ذلك مثال قريب فيما كتبه الشيخ عبد الله بن فودى في كتابه

(تزيين الورقات) أن القبائل الفلانية جدهم الأعلى عقبة بن نافع العربي الصحابي حيث قال :

وعقبة جد للفلانيين من عرب ومن تور كانت أمهم بَجٌ مغ عوا

وإلى جانبه ابن أخيه السلطان محمد بللو يروي قول الذين قالوا إن الفلانيين من اليهود واستدلوا على ذلك بحملهم العصى واتباعهم البقر واحتكار دمائهم في قبائلهم عند الزواج .

فها نحن أولاه بعد نقد الأساطير وغربلة الأقاصيص نستخلص النقاية من النفايات ، ونقرر أن قبائل يوربا أصلهم من العرب ولا ينافى عنهم اختلاطهم بغيرهم من العجم أو اختلاط غيرهم بهم من الأمم من الزنوج والقبائل المجاورة لهم من الجهات الأربع .

اتصال المصريين بالزنوج قبل غيرهم

المصريون أول من عرف الزنوج واتصلوا بهم وفتحوا بينهم وبين بلادهم أبواب التجارة ، ويقول المستر هودج في تاريخ الورن : إن أحد الفراعنة الذي يسمى بارخوار الذي عاش في القرن السابع عشر قبل الميلاد أول من قام باكتشاف بلاد الزنوج فسار حتى وصل النهر الأسود في أرض ديم ديم ودخل مدينة غاو وفتح باب الصلات بينهم وبين مصر وكان يستورد منها العاج وريش النعام والعبيد .

وربما قال بعض المؤرخين إن القرطاجنيين أول من عرف الزنوج وأول من عاملهم من الأمم الراقية ، ولكن الأظهر أن المصريين أقوى من غيرهم في هذه الصلات ، إذ كانوا يهاجمون الزنوج ويسبونهم ويتخذون منهم عبيداً

يسخرونهم في الأعمال الشاقة، وفي بلاد الزنوج بقايا المصريين إذ يقال إن قبائل غوبر وجوكن ونوبه، كانوا من الأقباط هاجروا إلى هذه البلاد واستعمروها وامتزجوا بالزنوج.

ويقول هيردوت أبو التاريخ الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد:

إن الجيش المصري في عهده كان مؤلفًا من الزنوج وكان الفراعنة يتخذون منهم أداة التسلية والضحك في الرقص والألعاب الأخرى.

وزعم أهل أساطير يوربا في مدينة إليفى أن أحد ملوكهم خرج إلى مصر وقاتل أهلها واستعمرهم، وأن المصريين هم الذين أطلقوا عليهم اسم يوربا، فلم نجد من يقبل منهم هذه الأكذوبة، والحقيقة أن الزنوج يتصلون بالمصريين عن طريق التجارة والصناعة والسياسة والحرب كالعبيد لا كالأسياد[1].

ولقد قامت بعد ذلك دولة الأحباش في الشمال الجنوبي من بلاد مصر وملكوا بلاد الزنوج، ولا فرق بين أن يكونوا قبل هكسوس الرعاة أو بعدهم إذ لا فرق بين الحبشة والنوبة والبربر في هذا الشأن وهذا الموضوع.

يقول عبد الله حشيمة[2].

(إن مملكة الأحباش في أعالي النيل يرجع تاريخها إلى مدى بعيد جداً وكانت على جانب كبير من البطش والقوة والسلطان، ولم يكن يفصلها عن بلاد الزنوج فاصل فامتزجوا بسكانها متزاوجين متناسلين حتى صار يطلق السواد على الأحباش كما يطلق على الزنوج).

---

(١) انظر بلاد الزنوج لعبد الله حشيمة ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) في كتابه بلاد الزنوج ص٢٤.

ويقول شيخنا آدم نماجي : إن الحبشة هم المسمون (حابي) في لسان هوسا قد ملكوا البلاد كلها قبل قيام ابن فودي بالجهاد وهم قوم من قبائل النوبة اكتسحت حدود مملكتهم جميع أطراف بلاد هوسا حتى بلاد يوربا .

وأخبرني صديقي الأستاذ العلامة البحاثة الشيخ محمد ناصر كابره الكنوي أن الطبقة الأولى الذين ملكوا هذه البلاد قبل قيام كل دولة هم الحبشة (حابي) ومنها أخذت كلمة هوسا من الحبشة ؛ لأن القوم حتى اليوم تعودوا أن يحرفوا الباء إلى الواو لتقارب خروجهما من الشفة ويقولون ما لم عوود بدل ما لم عبدو ، وأنا أميل إلى ذلك .

ومن ناحية أخرى جاء كُتَّاب تاريخ نيجيريا بالإنكليزية يقولون :

إن الذين ملكوا هذه البلاد ردحا من الزمان قبل أيام ابن فودي كانوا من قبائل غوبر وكان أصلهم من الأقباط المصريين ، وأنا أظن أنهم من النوبة أو البربر .

ويؤيد هذا القول إن اليرباويين حتى اليوم ظلوا يطلقون كلمة غنبري التي هي تحريف غوبر على قبائل هوسا جميعًا لأنهم ملكوا البلاد قرونًا عديدة أيام الطبقة الثانية والثالثة من الأسرة المالكة في بلاد هوسا ، ويقول جونسن : إن بين قبائل يوربا وقبائل غوبر وقبائل النوبة[1] وقبائل البربر صلات تاريخية متينة وإنهم هاجروا تباعًا إلى هذه البلاد فلننظر إلى بطون التاريخ لنرى الهجرات .

---

(١) تاريخ يوربا ص (٣) وما بعدها .

أول هجرات العرب من اليمن أو الحجاز إلى أفريقيا

إذا صح القول بأن مهد الإنسان الأول كان في آسيا إما في عدن كما في التوراة من عهد آدم، أو في أرض بابل من عهد نوح بعد الطوفان، أو في اليمن والحجاز حول بيت الله الحرام كما في تفاسير القرآن، ثم صح بالتالي أن الناس استفاضوا من آسيا إلى أفريقيا ومن الجهات الشمالية إلى الجهات الجنوبية كما سبق في كلام مستر كلارك.

تحتم علينا أن نبحث في هجرات الناس من تلك الجهات وفي عهودها وعصورها وكيف كان ذلك في مصدره من التاريخ العام.

وإذا بحثنا عن ذلك وجدنا ما يأتي أولاً.

هجرة العمالقة العرب وبني كنعان من آسيا إلى أفريقيا

لقد صح في التاريخ أن قومًا من العرب هاجروا من اليمن والحجاز إلى مصر وغزوا أهلها وأسسوا بها مملكتهم بنحو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، ودامت دولتهم ثلاثة قرون باسم الملوك الرعاة في عهد الأسرة الحادية عشر من الفراعنة الأجانب ويسمون (الهكسوس).

ثم قام أحْمس رأس الأسرة الثامنة من الفراعنة الأقباط وطردهم من مصر إلى بلاد النوبة في أعالي مصر، ثم أعادوا هناك تأسيس دولتهم المندرسة في مصر واكتسحت بلاد البربر والزنج وظلوا بها حتى جاءتهم النصرانية واعتنقوها، ثم جاءهم الإسلام وغزاهم عمرو بن العاص فاتح مصر فدخلوا في الإسلام، ثم ارتدوا، ثم غزاهم عبد الله بن أبي سرح فأسلموا، ثم ارتدوا إلى أن انتهى أمرهم بعقد الهدنة ودفع الجزية[1].

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢٨٠).

وقد فر من هؤلاء قوم نزحوا جنوبًا وساروا حتى امتزجوا بالزنج ويعرفهم الناس في نيجيريا اليوم بقبائل نوفى، وأنهم رماة النبل كما كانوا في مكانهم الأول وصناع الحصر، واشتهرت نساؤهم ببيع الفول المغلي والذرة (فوشارية).

فيكون على الصواب من نسبوا قبائل يوربا إلى العرب أنهم نزحوا من الحجاز أو اليمن إلى أفريقيا عن طريق مضيق باب المندب إلى الحبشة ثم إلى مصر ثم إلى بلاد النوبة، وكذلك يصح أن يقال إن يعرب بن قحطان هو الذي طرد العرب من اليمن أو الحجاز ولا يصح أن يقال إنه طردهم من العراق لأن يعرب بن قحطان إنما طرد البقية الباقية من العرب البائدة عاد الأولى قوم هود طردهم من اليمن والحجاز إلى أفريقيا ولم يطردهم من العراق.

هجرة العرب الثانية (العرب العاربة)

سجل تاريخ اليمن وتاريخ العرب في كتب المؤرخين كالمسعودي وابن خلدون والبكري أن من أحفاد يعرب بن قحطان الذي هو مؤسس العرب العاربة أسرة التبابعة، فكان التبع الأول الحارث الرايش والتبع الثاني أبرهة ذو المنار والتبع الثالث أفريقش الذي سميت قارة أفريقيا باسمه لأنه فتحها واستعمرها.

قالوا إنه خرج من اليمن مع جيش من بني حمير منهم صنهاجة وكتامة فتوجه بهم إلى فتوحاته بطريق الحجاز حتى وافى سواحل الشام وفلسطين.

فوجد بها الكنعانيين المغلوبين على أمرهم تحت سيوف يوشع بن نون تلميذ النبي موسى عليه السلام، فاتفق مع أفريقش على أن يأخذ من

الكنعانيين جنوداً إلى فتح أفريقيا، فتبعه منهم مغيلة وزناته فساروا معه إلى قتال ملك أفريقيا المسمى جرجير فغلبه واستولى على ملكه، ومن بعد ذلك سمى الكنعانيين برابرة على اختلاف الروايات فيمن سماهم كذلك، ولما رجع أفريقش إلى اليمن ترك بأفريقيا من قبائل حمير صنهاجة وكتامه كما ترك هناك من قبائل بني كنعان الذين سموا برابرة مغيلة وزناتة[1].

ويقول السلطان بللو[2]:

إن البرابرة أصلهم بالشام ولما أكثروا فيها الفساد استغاث أهلها بأفريقش فغزاهم وشتت جموعهم وسبى منهم ذراريهم، ولما رأى نخوتهم استبقاهم عنده مماليك يستعين بهم، ولما مات ومضى برهة قاموا على حمير فاقتتلوا حتى انهزموا فطردهم حمير من اليمن واستوطنوا قريبًا من أرض الحبشة حتى وافوا كانم واستوطنوها، وأقبلت دولتهم أيام استيطانهم البلد حتى ملكوا أقاصي البلد من هذا القطر.

(قلت) لا مدخل لاستغاثة أهل الشام بأفريقش اللهم إلا إذا التبس على أهل هذه الرواية مرور أفريقش بالشام أيام يوشع بن نون، واستغاث أفريقش بيوشع أن يمده من هؤلاء بجنودٍ مرتزقين ليحارب بهم أفريقيا.

ومن ثَمَّ يصح أن يقال إن البرابرة (وهم الكنعانيون) بسائر أجناسهم في أفريقيا كانوا من بقايا بني كنعان، وليس يصح أن يقال إن يوربا من بني كنعان، وإنما يصح أن يقال إنهم من بقايا بني يعرب بن قحطان الذين

(١) تاريخ ابن خلدون ١/ ٧٨.

(٢) إنفاق الميسور ص (٣٣).

نزحوا من اليمن وانحدروا من موجات الهجرة الثانية بقيادة أفريقش الحميري واستفاضوا في أواسط أفريقيا والشمال الشرقي منها والتقوا بإخوانهم العرب البائدة الذين سبقوهم في الهجرة الأولى ونزلوا مصر وحكموها مدة ثم طوردوا منها إلى ما حول مصر والحبشة فعرفوا بالنوبة.

ويظهر أن انتساب قبائل يوربا إلى يعرب بوجه خاص فإنما يكون ذلك لتمييز أنفسهم من العرب البائدة الذين طردهم يعرب من اليمن إلى مصر وهو الذي جاء أفريقش من ذريته ولعلهم انتسبوا إلى يعرب بن قحطان رأسًا للتفاخر بالآباء والأجداد كعادة العرب، أو إلى من تسمى باسم يعرب من زعماءهم في رحلتهم.

على أن تكرار اسم الجد والأب معروف في جميع الأمم وبوجه خاص عند العرب الذين يحافظون على أنسابهم بإحياء أسماءهم في أحفادهم.

ولا يخفى أن كلمة يوربا محرفة من يعرب بقدر التحريفات التي تدخل الكلمات العربية عند اختلاطها بلغة العجم في ديار الغربة وفي ميدان تصارع اللغات وتنازعها على البقاء كسائر الكائنات الحية.

ومما يستدل به على كون قبائل يوربا من العرب بقاء كمية كبيرة من اللغة العربية حتى اليوم في الكلمات التي يستعملونها يومياً كما سيأتي.

ومما يستدل به على كونهم من قبائل حمير إبدالهم حرفًا بحرف في عدة كلمات كما عرف ذلك في اللغة الحميرية كإبدال لام التعريف ميما في نحو: ليس من أمبرأم صيام في أم سفر، بمعنى ليس من البر الصيام في

السفر. واليوربا يبدلون لام التعريف واوًا في مثل أوْمى بمعنى الماء أوْجو بمعنى اليوم ونحو أوْشُو بمعنى الشهور، وهكذا كما سيأتيَ في أمثلة اللغة.

هجرة العرب الثالثة إلى أفريقيا (العرب المستعجمة)

هذه الهجرة هي التي صحبت ظهور الإسلام وخروج العرب لنشر الإسلام إلى سائر المعمورة بآسيا وأفريقيا وأسبانيا بأوربا.

وقد هرب من نفوذ الإسلام من لم يشرح الله صدره به وفر من مكانه الأول حيث استولى المسلمون إلى مكان آخر حيث لم يبلغ فيه نفوذ الإسلام.

حاصله أن في عهد عمر بن الخطاب فتح المسلمون بلاد الشام ومصر بقيادة عمرو بن العاص الذي عين عقبة بن نافع على شمال أفريقيا وأدخل البربر في الإسلام، فتولى عليها وفتحها حتى وصل إلى أطراف غرب أفريقيا وجنوب الصحراء، فاستمر في فتح مصر إلى حدود بلاد النوبة بأعالي مصر حيث استقر بقايا العرب البائدة المطرودين من مصر إلى تلك الجهات وأسسوا بها دولتهم مرة ثانية فكانوا أول العرب المستعجمة.

وصل نفوذ الفتوحات من شمال أفريقيا إلى غربها، فكانت قبائل البربر وقبائل المور وقبائل البول (الفلان) همزة الوصل بين العرب الفاتحين وبين الزنوج هناك، فأسسوا هناك العرب المستعجمة، كما وصل نفوذ الفتوحات من مصر إلى بلاد النوبة والبربر، فكانوا همزة الوصل بين العرب الفاتحين وبين الزنوج هناك امتداداً من ضفاف النيل إلى ضفاف الكنغو وضفاف النيجر.

ولقد كان بقايا قبائل العرب الذين انتشروا في شمال أفريقيا إلى شرقها الشمالي فيما بين جنوب مصر وجنوب المغرب قبل ظهور الإسلام.

قد كانوا متصلين مع بعضهم من بقايا العرب البائدة والعرب العاربة الذين امتزجوا بقبائل البلاد بحكم المصاهرة قبل الإسلام فكانوا العرب المستعجمة هناك.

ولما جاء الإسلام وغلب عليهم دخل في الإسلام من أراد الله به خيرًا وفر منهم من لم ينشرح به صدرًا إلى مناطق الغابات والأماكن التي يقل بها العمران ولا يلجأ إليها إلا الهاربون المغلوبون على أمرهم، فذاب هؤلاء الهاربون في ذلك المجتمع الزنجي الأسود.

ومن ثَمَّ يظهر باليقين الذي لا يقبل الشك والريبة أن بعض قبائل يوربا من كانوا في هذه الدفعة التي هربت وفرت أمام الجيش الإسلامي من بلاد النوبة والبربر إلى هذه الجهات الغابية، ولا جرم إذا تعلق بذهنهم ما توارثوه كابرا عن كابر أنهم طردهم النبي محمد من مكة عند ظهور الإسلام فساروا تسعين يومًا دأبًا حتى وصلوا إلى مدينة إليفي، ثم أرسل محمد وراءهم شعيبًا مع جنود فانهزم هناك وقتلوه وأخذوا مصحفه غنيمة لهم.

وحيث لم يذكروا أنهم اجتازوا بالبحر الأحمر وهو أمر لابد من ذكره لو كانوا قد اجتازوا به، ولما لم يذكروا ذلك دل على أنهم لم يجتازوا في مسيرهم وإنما ابتدأ سيرهم في أعالي مصر فقط.

وما تعلق بذهنهم أنهم ساروا تسعين يومًا من مكة حتى وصلوا هذه البلاد دل ذلك على أنهم بدأوا مسيرهم من حيث بدأوا وساروا ثلاثة أشهر على مسافة لا تقل عن أربعة آلاف ميل، وهي مسافة ما بين جنوب مصر أو جنوب المغرب إلى غرب أفريقيا الحالية.

وكذلك ما زعموا أن قائدهم المسمى عورنين خرج مرة من مدينة إليفى بجيوش عرمرم قاصد الانتقام ممن طرد جده الأعلى من ناحية من نواحي بلاد النوبة التي حملوها على أنها مكة، فصدتهم قبائل النوبة من ضفاف النيجر فقفل راجعًا عن طريق بلاد البربر (برغو)، فأشار له ملك مدينة بوسا بتأسيس مدينة عويولي القديمة حوالي (١٣٥٠) م، وما يقال من آثار التقاليد المصرية الباقية في قبائل يوربا من مراسيم دفن الموتى وبعض الكلمات العادية وطقوس العبادات يدل على أنهم اقتبسوها من المصريين أيام مكوثهم بمصر قبل نزولهم إلى بلاد النوبة بأطراف مصر العليا.

الجار يعرف بالجار

إذا ثبت أن الشيء بالشيء يذكر وأن الجار بالجار يعرف، وجب علينا أن نعرف جيران يوربا من جهة وأن نذكر العلاقة بينهما من جهة أخرى فنقول:

لقد تواتر في ألسنة المؤرخين وفي كتابات المسجلين أن هناك صلات تاريخية بين قبائل يوربا وقبائل نوفى وقبائل البربر ومنهم (برنو وبرغو).

وأن بين هذه القبائل الثلاث آثار الثقافة المصرية وتقاليدها التي أخذوها عند مجاورتهم بعضهم بعضًا في أعالي مصر.

قبائل النوبة أو الحبشة:

وأول هذه القبائل هم قبائل النوبة أخوة الحبشة الذين هم جيران مصر جهة الجنوب إلى ما يجاور بلاد السودان وبلاد الزنوج.

وقد ثبت أنهم أول العرب المستعجمة في أفريقيا، وأنهم انحدروا من موكب العرب البائدة (الهكسوس) وكانوا قبل الإسلام استوطنوا أعالي

النيل بضفتيه، وكان منهم من فر أمام جنود عمرو بن العاص وعبد الله ابن أبي سرح فساروا حتى وصلوا نهر النيجر وسكنوا بضفافها كما فعلوا حول النيل.

وأنا الكاتب لهذه السطور لاحظت الشبه العجيب بين قبائل يوربا وقبائل النوبة في جهات دنغلا بأعالي النيل عند سفري إلى مصر عن طريق وادي حلفا وأسوان والشلال.

فالشبه عجيب في ألفاظ كلماتهم مع كلمات يوربا وفي رسوم خدودهم ووجوههم خصوصًا في قبائل البجة وقبائل هدندوة الذين يتمسكون دائمًا بأسلحتهم ولا يتركونها ويزينون شعور رؤسهم، مما جعلني أتخيل أنه يحتمل أن يكون قبائل يوربا الذين زعموا أنهم من ذرية رجل اسمه **ادودوا** قد يكونون ناسين أو جاهلين أنهم من ذرية هدندوة نزحو من تلك القبيلة في تلك الجهات إلى مكانهم الحالي في غرب أفريقيا.

وكان شيخنا آدم نماجي يوافق السلطان بللو في رأيه أن قبائل نوفى يقرب وصفهم من وصف قبائل يوربا وأن في لغاتهم كلمات متقاربة، لذلك لا يعسر على النفاوى أن يتعلم لغة يوربا[1] وتسمى هذه القبيلة عند أهل مصر وبلاد العرب بالنوبة، كما تسمى عند قبائل هوسا والبرنو بنوفى، وعند قبائل يوربا (بتابا).

أما ما يقولون عن قبائل نوفى بالروايات المحلية فإنها فروع لهم، ونحن نتكلم في أصل أصولهم أما فروعهم فتبلغ نحو عشرة فروع.

---

(١) الاكتشاف المفيد ص (٦٩).

أما قبائل البربر: فهم أيضًا جيران قبائل يوربا من جهتين، وقد ذكرنا آنفًا أنهم من الكنعانيين بالشام دخلوا أفريقيا في موكب تبع الثالث المعروف بأفريقش ملك اليمن، نزحوا أولاً بشمال أفريقيا ثم انتشروا في أنحاءها حتى امتزجوا بقبائل النوبة بجهات مصر، ومنهم تفرعت قبائل **برنو وباغرمى وشوا** بالشمال الشرقي من نيجيريا حتى حدود بلاد هوسا من الشرق.

ومنهم تفرعت قبائل **برغو وبوسا ودندى** بالشمال الغربى من نيجيريا حتى حدود بلاد يوربا من الغرب.

وتقول الروايات المحلية لقبائل برغو أنهم هاجروا من مكة بعد هجرة اليرباويين عندما انهزموا أمام الجيش الإسلامي[1].

وأنهم هاجروا في موكب سلطان برنو، فمكث الأولون منهم في بلاد برنو وسار اللاحقون بهم واندمجوا في قبائل يوربا، وتأخر الباقون منهم في مدينة **بوسا** أو مدينة **نكى** أو **كياما**.

وكذلك تقول الروايات المحلية عند قبائل يوربا أنهم مع قبائل **برغو وبرنو** إخوة ثلاثة بينهم وشائج القربى والنسب.

وعلى ذلك الأساس يبنون تحالفهم في الحرب ويقيمون تعاملهم في السلم.

أما علاقات البربر بالنوبة فقد أشرنا إليها آنفًا أن النوبة سبقوا البربر إلى أفريقيا، وأن البربر لما نزلوا شمال أفريقيا انتشروا حتى لحقوا بالنوبة، فكانت

(١) تاريخ مديريات الورن لمستر هودج ص (١٤١).

العلاقات بين القبيلتين طيبة حتى بنيت مدينة روما في عهد النبي داود، وخاف ملك روما من داود فحاول التخلص منه، ثم دارت الحرب بين أهل روما وملك النوبة استظهر ملك النوبة بالبربر بعد أن هزمه أهل روما فخافهم ملك البربر وأمكنوا روما من ملك البربر إلى أن هلك في أسرهم. راجع تاريخ ابن خلدون الجزء الأول.

فتزعزعت بذلك أركان العلاقة بين البربر والنوبة في شمال أفريقيا ما بين مصر والمغرب.

أما الوناغرة: فهم فصيلة من البرابرة المغاربة كانوا مزيجا بين الملثمين والطوارق، وبين الغانويين القدماء جيران الملاويين والفلانيين الغربيين لا يوجدون في نيجيريا مثل غيرهم من القبائل إلا ما كان على وجه الندرة والشذوذ.

أما قبائل هوسا: فهم جيران يوربا والنوبة والبربر والفلان.

وقد اتفق جميع المؤرخين لهذه البلاد أن من يسمون بقبائل هوسا اليوم ليسوا من أصل واحد وإنما اجتمعوا من أجناس متعددة ومتفرقة، وتكلموا بلغة واحدة هي لغة هوسا لأنها أخف لسانًا وأضبط ميزانًا وأفصح بيانًا، أو تكلموا بها لأنها لغة الحاكم الغالب، أو لأنها لغة التجارة والتعامل.

وكان سكان تلك المنطقة فيما قبل عصر التاريخ قومًا من الزنوج، ثم نزل عليهم قوم من المصريين ثم النوبة والحبشة ثم البربر ثم العرب.

ويقول البحاثة الكنوى الشيخ محمد ناصر الكبري:

إن كلمة هوسا جاءت محرفة من حبشة بقلب الباء واوًا كما يقولون ما لم

عودو بدلاً من عبده، ويؤيد ذلك قول شيخنا آدم نماجي أن من يسمونهم قبائل هابى في بلاد هوسا إنَّما هُم من النوبة والنوبة أو الحبشة أخوة واحدة ولعل كلمة هابى أيضًا تحريف لحبشة.

ويستطرد شيخنا آدم نماجى يقول في كتابه (الاكتشاف المفيد) أو الإعلان بتاريخ كانو أن قبائل هوسا على قسمين قسم الهوسا الخالص وقسم الهوسا المستهوس.

والهوسا الخالص هم السكان الأولون.

والهوسا المستهوس هم العرب المغاربة الذين اختلطوا بالجنس الأسود، فتزوجوا وتناسلوا، فخرج من بينهم الهوسا كما كان من بين فرث ودم لبنا خالصًا.

وذكر أن أول من تكلم بلغة هوسا رجل عربي اسمه هوسا، لذلك كانت كلماتها أقرب اللغات إلى العربية من حيث التأنيث والتذكير والجمع وبعض ألفاظ العدد في الحساب، وأورد الشيخ نحو خمسين كلمة على سبيل المثال ما كان عربية محضة.

ولكنني أحسب ذلك من مستوردات الإسلام التي انتشرت بانتشار التعليم أيام الإمام المغيلى المغربي والسيوطي المصري.

أما قوله بأن لغة هوسا لغة رجل عربي اسمه هوسا فقد أعاد لذاكرتي أن العرب كانوا يتسمون بهذا الاسم في الجاهلية وأشهر من تسمى به هوذة ابن علي من بني حنيفة وكان ملكًا على اليمامة أيام كسرى أنو شروان، وقد بعث إليه النبي رسالة مع جملة من رسائله إلى ملوك الأرض فأسلم ثم ارتد

بعد وفاة النبي مع قوم مسيلمة الكذاب، ثم إني رأيت أنه لابد من أن يكون جد ملوك هوسا السبع المعروف باسمه أبا يزيد البطل العراقي الذي دخل بلاد هوسا عن طريق برنو وقتل ثعبان دوراه المسمى سركي لابد أن يحمل معه قسطًا كبيرًا من الكلمات العربية، فبذلك تكثر العربية في لغة هوسا لتعدد مواردها وروافدها.

أما قبائل فلان: فهم أيضًا جيران يوربا وهوسا ونوفى.

اعلم أن قبائل فلان متشعبة إلى عدة أصول وفروع ولذلك يحملون أسماء مختلفة وليس منهم الوناغرة لأن هؤلاء نزحوا من البرابرة والمغاربة.

فالمؤرخون الأفرنج يسمونهم **البول أو الفوله أو الفولفول والماندنغ أو السراخللى** والنيجيريون يطلقون (كلمة الفلان) علمًا على الجميع.

ويذهب الأفرنج إلى أنهم من أسرى اليهود الذين سباهم الإسكندر الأكبر من أورشليم وأتى بهم إلى غربي مصر، فاختلطوا بالزنوج فتولدت منهم قبائل **البول والسراخولى**[1].

ويقول الشيخ عبد الله بن فودى إن الفلانيين مزيج من العرب والروم، حيث تزوج عقبة بن نافع بإحدى بنات ملك الروم فجاءت بأربعة أولاد سكنوا بلاد أمهم وتكلموا بلغة غير لغة أبيهم، فقد تفرعت أصولهم إلى ثلاثة **فوتاتورو وفوتاجالون وفوتامالى** ولكنّهم ينقسمون إلى قسمين رئيسيين: قسم حضريون وقسم بدويون.

---

(١) انظر ص(٢٩) في بلاد الزنوج لعبد الله حشيمة.

فالحضريون تطوروا مع السكان الأصليين في المدن وسكنوا معهم، فكان منهم التجار والصناع والعلماء والفقهاء ثم الأمراء الذين أسسوا حكومات في **غانة ومالى وسنغى**، والبدويون يشتغلون بتربية الأبقار ويتنقلون من مكان إلى مكان طلبًا للأراضي الخصبة الصالحة لمواشيهم.

ويوجد عدد كبير منهم في القرى اليرباوية وفي أريافها من كل بلد من بلاد **يوربا**، ويتكلمون بلغة أهل البلاد إلا ما كان يظهر من لسانهم من آثار اللهجات الفلانية في نبرات الحروف التي تخرج من خياشيمهم.